الفصل الأول

1- ليس بمقدور كل إنسان أن يفهم بالمغزى الحرفي، أن كتاب العهد القديم يتضمن أسراراً سماوية، وأن كل ما فيها على وجه العموم وعلى وجه الخصوص، يخص الرب، وسماءه، والكنيسة، والإيمان وما يرتبط به؛ لأن ما يرى بالحرف أو بالمغزى الحرفي، لا ينتمي إلا إلى الجانب الظاهري لليهودية، مع أن كل شيء فيه مغزى مكنون لا يظهر في المغزى الظاهري، ما عدا بعض الأقوال التي أعلنها الرب للرسل وشرح لهم مغزاها مثل: إن الذبيحة هي الرب، وإن أرض كنعان وأورشليم هما السماء التي لذلك تدعى كنعان وأورشليم السماوية؛ وأن الجنة هي ما يشبه ذلك.

2- لكن العالم المسيحي لا يزال حتى الآن يجهل تماماً أن كل ما في *الكلمة* على وجه العموم وعلى وجه الخصوص، يعني ويتضمن موضوعات روحية وسماوية؛ ولذلك لا يلقى العهد القديم سوى اهتمام قليل جداً. ولكن، كون *الكلمة* تملك مثل هذه الخاصة فعلاً، يمكننا أن نعرفه من إحدى المحاكمات التي تفيد بأن *الكلمة* *كلمة الإله*، وأنها صادرة عنه، ولذلك فإن وجودها نفسه مستحيل إذا كانت لا تنطوي على ما يخص السماء، والكنيسة، والإيمان، وإذا هي لم تكن كذلك فإنه لا يمكن القول إنها كلمة الرب، عداك عن القول بأنها تتوفر على أي حياة في ذاتها؛ لأنه من أين تأتيها الحياة إلا من فاطر الحياة، أي مما هو على وجه العموم والخصوص يخص الرب الذي هو الحياة عينها؟ لذلك فإن كل ما هو داخلي مكنون لا يخصه، لا حياة فيه؛ وواقع الحال هو أن كل تعبير بالكلمة لا يتضمنه هو، أي لا يخصه هو، فإنه لا يعد إلهياً.

3- وبغير مثل هذه الحياة، فإن *الكلمة* حروفاً هي كلمة ميتة؛ لأن ما يحدث للكلمة، هو نفسه ما يحدث للإنسان الذي من المعروف أنه في عالم المسيحية

يتكون من ماهيتين: داخلية وخارجية. فالإنسان الظاهري هو مفصولاً عن الداخلي، إنسان جسدي، ولذلك فهو ميت؛ لأن الذي يعيش هو الإنسان الداخلي الذي يمنح الإنسان الظاهري الحياة، وهذا عينه يحدث للكلمة التي هي فيما يخص الحروف لا روح فيها، كما هي حال الجسد.

4- وعندما ترتبط الفكرة بالمغزى الحرفي فقط، فإنه لا يمكن أن يرى أحد أن ما قيل أعلاه متضمن فيها. مثلاً حسب المغزى الحرفي لإصحاحات سفر التكوين الأولى، لا يمكن أن نعرف منها سوى عن خلق العالم، وعن جنة عدن، وآدم بصفته أول إنسان مخلوق. فمن ذا الذي يفكر في أي شيء آخر؟ إلا أننا سوف نرى بوضوح، أن هذا كله ينطوي في ذاته على أسرار مكنونة لم تظهر في أي وقت كان. ويتضح هذا على وجه الخصوص من أن الإصحاح الأول من سفر التكوين يتحدث بمغزاه المكنون على وجه العموم، عن خلق جديد للإنسان، أي عن انبعاثه، وعلى وجه الخصوص عن أقدم كنيسة، وعلى هذا النحو، فإنه لا يوجد تعبير واحد مهما كان صغيراً إلا ويمثل، ويعني، ويتضمن هذا كله في داخله.

5- ولا يمكن لإنسان أن يعرف أن الأمر هكذا إلا إذا منحه الرب مثل هذه المعرفة. ولذلك فإنه من الضروري أن أشير أولاً إلى أنني بنعمة الرب وإحسانه منحت فرصة الإقامة المتواصلة لسنوات عدة في مجتمع الأرواح والملائكة، فاستمعت إلى أحاديثهم، وتحدثت إليهم. وعلى هذا النحو يكون قد أنعم علي بأن أستمع وأرى أشياء مذهلة تحدث في الحياة الأخرى، وهي أشياء لم يكن يعرفها أي إنسان من قبل، كما لم يكن لدى أحد فكرة عن وجودها. وفي ذلك العالم أرشدتني وعلمتني أرواح شتى عن وضع الروح بعد الموت، وعن جهنم، أو الحالة المزرية لغير المؤمنين، وعن السماء، أو عن النعيم الذي يعيش المؤمنون فيه، ثم عن تعاليم الإيمان المعترف بها في السماء كلها؛ وهذا ما سوف نتحدث عنه بعون الرب ورحمته، بتفصيل أكثر على امتداد الصفحات الآتية.

تكوين 1: 1-31[1]

1. في البدء خلق الله السموات والأرض.
2. ولم تكن الأرض مرئية، وكانت خالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه.
3. وقال الله: ليكن نور، فصار نور.
4. ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلام.
5. ودعا الله النور نهاراً، والظلمة ليلاً. وكان مساء، وكان صباح: يوماً واحداً.
6. وقال الله: ليكن فضاء وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه.
7. فصنع الله الفضاء وفصل بين المياه التي تحت الفضاء والمياه التي فوق الفضاء. فكان كذلك.
8. ودعا الله الفضاء سماء. وكان مساء، وكان صباح: يوم ثان.
9. وقال الله: لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد، وليظهر اليبس. فكان كذلك.
10. وسمى الله اليبس أرضاً ومجتمع المياه سماه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن.
11. وقال الله: لتنبت الأرض عشباً ليناً، عشباً يبزر بزراً، وشجراً مثمراً يخرج ثمراً بحسب نوعه الذي فيه على الأرض. فكان كذلك.
12. فأخرجت الأرض عشباً ليّناً، عشباً يبزر بزراً بحسب نوعه، وشجراً يخرج ثمراً بحسب نوعه. ورأى الله ذلك أنه حسن.
13. وكان مساء، وكان صباح: يوماً ثالثاً.

1- سوف نعتمد في ترجمتنا النصوص التوراتية الواردة في هذا الكتاب على الترجمتين العربيتين اللتين أصدرتهما دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط في العام 1987 م، والعام 1996، وعلى الترجمة التي أصدرتها دار المشرق في بيروت في العام 1986 م – م.

obeikandi.com

14. وقال الله: لتكن نيّرات في فضاء السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات، وأيام سنين؛

15. ولتكن هي نيرات في فضاء السماء لتضيء على الأرض. فكان كذلك.

16. فصنع الله النيرين العظيمين: النيّر الأكبر لحكم النهار، والنيّر الأصغر لحكم الليل، والنجوم؛

17. وجعلها الله في فضاء السماء لتضيء على الأرض،

18. ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلام. ورأى الله ذلك أنه حسن.

19. وكان مساء وكان صباح: يوم رابع.

20. وقال الله: لتفض المياه زحافات ذات أنفس حية، وطيوراً فوق الأرض، في فضاء السماء.

21. فخلق الله وحوش البحار العظيمة وكلّ دابّ من كل ذي نفس حية فاضت به المياه بحسب أنواعه، وكلّ طائر ذي جناح بحسب أنواعه. ورأى الله ذلك أنه حسن.

22. وباركها الله قائلاً: انمي وأكثري واملأي المياه في البحار، وليكثر الطير على الأرض.

23. وكان مساء، وكان صباح: يوم خامس.

24. وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية بحسب أنواعها، بهائم ودبابات ووحوش أرض بحسب أنواعها. فكان كذلك.

25. فصنع الله وحوش الأرض بحسب أنواعها، والبهائم بحسب أنواعها، وكلّ دبابات الأرض بحسب أنواعها. ورأى الله ذلك أنه حسن.

26. وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا، وليتسلط على سمك البحر، وطير السماء، والبهائم، وجميع الأرض، وكل الدبابات الدابة على الأرض.

27. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم.

28. وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا، واملؤوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وطير السماء، وجميع الحيوان الداب على الأرض.

29 - وقال الله: ها قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الأرض كلها، وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً يكون لكم طعاماً؛

30. ولجميع وحش الأرض وجميع طير السماء، وجميع ما يدب على الأرض مما فيه نفس حية، جميع بقول العشب جعلتها مأكلاً. فكان كذلك.

31. ورأى الله جميع ما صنعه، فإذا هو حسن جداً. وكان مساء، وكان صباح: يوم سادس.

6. إن الأيام الستة، أو البُرَه الزمنية الست، التي تعد حالات متتالية لتجدد الإنسان، هي على وجه العموم:

7. الحالة الأولى، هي حالة الكمون التي تنطوي على الحالة التي تبدأ بالطفولة المبكرة وصولاً إلى لحظة التجدّد مباشرة، وهي تدعى بالحالة «غير المرئية»، الحالة «الخالية»، «الظلمة». وأول الأفعال الذي يعد رحمة ربانية، سجله روح الرب الذي يرفّ فوق الماء.

8. وتبدأ الحالة الثانية لحظة يحصل الفرق بين ما يصدر عن الرب وما يصدر عن الإنسان نفسه. فما يصدر عن الرب يسمى بكلمة «ما يتبقى»، وهذا هنا، هو بشكل أساس، تعاليم الإيمان التي يتلقاها الإنسان في طور الطفولة، فتبقى كامنة ولا تظهر حتى بلوغه هذه الحالة. وفي أيامنا هذه، نادراً ما تحصل هذه الحالة من غير غوايات، وخيبات، وكروب، وعبر هذه يؤدي كل ما هو جسدي ودنيوي، أي كل ما يخص الإنسان نفسه، إلى حالة السكون، وكأني به يضمحل ويتلاشى. وعلى هذا النحو فإن كل ما ينتمي إلى الإنسان الظاهري، ينفصل عما ينتمي إلى الإنسان الداخلي. ففي الإنسان الداخلي يقيم «الما يتبقى»، الذي يحافظ عليه الرب لهذا الطور ولهذا الغرض.

9. الحالة الثالثة، هي حالة التوبة التي ينطق الإنسان فيها من داخله بالورع والتقوى، ويعمل أعمالاً صالحة تشبه أعمال الرحمة، لكنها مع ذلك أعمال لا حياة

فيها؛ لأن الإنسان يظنّ أنها صادرة عنه هو نفسه. وتدعى مثل هذه الأعمال الصالحة: «عشباً ليناً»، ثم «عشباً يبزر بزراً»، وفي نهاية المطاف «شجرة مثمرة».

10. وتحل الحالة الرابعة لحظة تحرك المحبة الإنسان وينير الإيمان نفسه. وقبل هذه اللحظة، على الرغم من أن الإنسان نطق بكلمات التقوى، وصنع الأعمال الصالحة، إلا أنه لم يفعل ذلك إلا نتيجة للغواية والاضطراب، وليس من منطلق الإيمان والرحمة؛ ولذلك فإن الإيمان والرحمة يشتعلان الآن في الإنسان الداخلي، ويدعيان «بالنيرين» الاثنين.

11. وتتحقق الحالة الخامسة حينما ينطق الإنسان بالإيمان، وهو إذ يتصرف وفق ذلك، فإنه يتثبت في الحق والخير؛ وما يأتيه حينئذٍ من أفعال يكون مفعماً بالحيوية، ويدعى «سمك البحر»، و«طيور السماء».

12. وتتحقق الحالة السادسة عندما ينطق الإنسان بالحق، ويعمل الخير إيماناً ومحبة؛ وما يصنعه حينئذٍ يدعى «نفساً حية» و«وحشاً». وبما أنه يبدأ يتصرف عندئذٍ بإيمان، ومحبة، فإنه يغدو إنساناً روحياً، ويدعى «صورة». وتتنعم الحياة الروحية لمثل هذا الإنسان وتترسخ بما ينتمي إلى معارف الإيمان وأعمال الرحمة التي تدعى «قوتاً»؛ أما الحياة الطبيعية فإنها تتنعّم وتترسخ بما ينتمي إلى الجسد والأحاسيس؛ ومن هنا ينشأ الصراع ويستمر إلى أن تسود المحبة ويغدو الإنسان سماوياً.

13. ولكن ليس كل من يتجدّد يبلغ هذه الحالة. فالقسم الأعظم في أيامنا هذه، لا يبلغ سوى الحالة الأولى، ويبلغ بعضهم الحالة الثانية؛ وآخرون الحالة الثالثة، والرابعة أو الخامسة، وقلة منهم تبلغ الحالة السادسة؛ وربما يبلغ أحد ما الحالة السابعة.

obeikandl.com

المغزى المكنون

14. فيما يأتي من هذا الكتاب سوف يكون المقصود باسم الرب، هو مخلص العالم يسوع المسيح فقط؛ وسوف يدعى فيه رباً من غير أي أسماء أخرى إضافية. ففي السماء يعرفونه ويسجدون له كرب؛ لأن له السلطة كلها في السماء وعلى الأرض. وهو أوصى بهذا لتلاميذه؛ إذ قال:

أنتم تدعوني معلماً ورباً، وحسناً تقولون؛ لأني كذلك.

(يوحنا.، 13:13)

وبعد قيامته دعاه التلاميذ «رباً» كذلك.

15. في السماء كلها لا يعرفون أباً آخر غير الرب؛ لأنهما جوهر واحد، كما قال هو نفسه:

أنا الطريق والحق والحياة؛ لا يأتي أحد إلى الأب إلا بي. فقال له فيلبس: يا رب! أرنا الأب وحسبنا. فقال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان، وأنت لم تعرفني يا فيلبس؟ من رآني فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟ أما تؤمن أني أنا في الأب وأن الأب في؟

(يوحنا.، 14: 6، 8 – 11)

16. (الآية 1). في البدء خلق الله السموات والأرض.

لقد دعي الزمن الأقدم هنا «بدءاً»، ودعاه الأنبياء في أماكن شتى: «أيام القدم»، و«أيام الدهور». كما يتضمن «البدء» في ذاته ذلك الطور الأول الذي تجدّد الإنسان فيه؛ لأنه يولد عندئذٍ ثانية ويكتسب الحياة. ولذلك دعي التجدّد نفسه «خلقاً جديداً» للإنسان. ففي كتب الأنبياء كلها تقريباً، تعني الكلمة «يخلق»،

«يجبل»، «يصنع»، معنى واحداً، هو «يجدّد»، مع بعض التباين في المدلول، كما عند أشعياء. مثلاً:

كل من يدعى باسمي، فإني لمجدي خلقته وجبلته وصنعته.

(أشعياء. 43: 7).

لهذا بالضبط دعي الرب مخلّصاً، وجابلاً من لحظة الحضور في الرحم، وخالقاً، وصانعاً؛ وهذا ما نطق به النبي أشعياء. نفسه:

أنا الرب، قدوسكم، خالق إسرائيل، وملككم.

(أشعياء. 43:15).

كما نقرؤه عند داود أيضاً:

وشعب سوف يُخلق، يسبّح الرب.

(مزامير. 102: 18).

وكذلك:

ترسل روحك فتخلق، وتجدّد وجه الأرض.

(مزامير. 104:30).

ويمكن أن يتبين لنا مما يلي، أن «السماء تعني الإنسان الداخلي، وأن «الأرض» تعني الإنسان الخارجي، قبل لحظة التجدّد.

17. (الآية 2). ولم تكن الأرض مرئية، وكانت خالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرفّ على وجه المياه.

قبل تجدّده يدعى الإنسان هنا «أرضاً غير مرئية، وخالية»، ويدعى كذلك «أرضاً» لم تكن مزروعة بأي خير ولا بأي حق؛ فالتعبير «غير مرئية» يعني أنه ليس ثمّة أي خير عليها، أما التعبير «خالية» فإنه يعني أنه ليس ثمّة أي حق فيها. ومن هنا تأتي «الظلمة»، أي النقص في الفهم، وسيطرة الجهل في كل شيء يخص الإيمان والرب، بالتالي في كل ما يتصل بالحياة الروحية والسماوية. وقد وصف الرب حالة مثل هذا الإنسان على لسان إرميا:

إن شعبي سفيه. إنهم لا يعرفونني. إنما هم بنون حمقى لا فهم لهم. هم حكماء للشر، ولا دراية لهم للخير.

(مزامير. 4: 22).

18. أما «الغمر» فهو شهوات الإنسان الذي لم يكن قد تجدّد بعد، والأباطيل التي تتأتى عن ذلك، والتي يتكوّن كله منها، وبما أنه محروم من كل نور، فإنه مثله مثل الغمر، اللجة، أو أي شيء آخر مظلم. وفي أماكن كثيرة تسمى كلمات هؤلاء الناس «غمراً، لجة» و«أعماق البحار» التي «تجف» أو «تصبح خالية» قبل أن يبدأ تجدّد الإنسان. وعند أشعياء:

استيقظي البسي العزة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم وأجيال الدهور. ألست أنت التي قطعت رهب وطعنت التنين؟ ألست أنت التي جففت البحر مياه الغمر العظيم، فجعلت أعماق البحر طريقاً يعبر فيه المفتدون؟ فالذين افتداهم الرب سيرجعون.

(أشعياء. 51: 9 – 11).

وإذا ما نظرنا إلى مثل هذا الإنسان من السماء، فإنه سيظهر ككتلة سوداء لا حياة فيها. وهذه التعابير نفسها تعني على وجه العموم دمار الإنسان الذي غالباً ما يجري الحديث عنه لدى الأنبياء، ذلك الدمار الذي يسبق لحظة التجدّد. لأنه قبل أن يتسنّى للإنسان معرفة ما هو الحق، وقبل أن يغدو الخير دافعه، ينبغي أن يبعد عنه كل ما يعارض هذا ويعيقه؛ وعلى هذا النحو فإنه يجب على الإنسان القديم أن يموت قبل أن يُحبل بالإنسان الجديد.

19. ويعني تعبير «روح الله»، رحمة الرب التي يقال: إنها «ترفّ» كالدجاجة فوق بيضها، «ترفّ» فوق ما يخفيه الرب ويحفظه في الإنسان، وفوق ما يدعى غالباً في الكلمة بقية باقية، مكونة من معارف الحق والخير، التي لن تضيء أبداً قبل أن يتلاشى ما هو خارجي. وقد دعيت هذه المعارف هنا «مياه».

20. (الآية 3). وقال الله: ليكن نور، فصار نور.

تحل الحالة الأولى عندما يبدأ الإنسان يدرك أن الخير والحق يُعدّان شيئاً ما سامياً. فالناس الظاهريون بالمطلق، لا يعرفون ما الحق والخير حتى مجرد معرفة؛ لأنهم يرون أن الخير، هو ما يتصل بحب الذات وحب الدنيا، وأن الحق، هو كل ما يوافق هذين النوعين من المحبّة. ولذلك فإنهم لا يعرفون أن ما يرون فيه خيراً إنما هو في واقع الحال شر، وإن ما يرون فيه حقاً، هو في حقيقة الأمر كذب. ولكن عندما يولد الإنسان من جديد، فإنه يدرك عندئذٍ أن ما كان يرى فيه خيراً، لا يعد خيراً حقيقياً، ثم يدرك بعد أن يمكث فترة أطول في الدنيا، أنه ثمة رب موجود، وأنه هو الخير عينه والحق عينه. وكان الرب نفسه قد علّم لدى يوحنا، أنه ينبغي على البشر أن يعرفوا أن الرب موجود:

لأنكم إذا لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم.

(يوحنا 8: 24)

كما يرد لدى يوحنا. أيضاً، أن الرب هو الخير نفسه، أو الحياة، وأنه هو نفسه الحق، أو النور، بالتالي فإنه ليس ثمة خير وليس هناك حق، إلا من عند الرب وحسب:

في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. كلّ به كوِّن، وبغيره لم يكوَّن شيء مما كوِّن. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آت إلى العالم.

(يوحنا 1، 3- 5، 9).

21. (الآيتان 4، 5). ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلام. ودعا الله النور نهاراً، والظلمة ليلاً. وكان مساء، وكان صباح: يوماً واحداً.

إذن، يدعى النور «حسناً»؛ لأنه صادر عن الرب الذي هو الخير نفسه. أما «الظلمة»، فهي تعني كل ما كان قبل كمون الإنسان، وبدت ولادته الجديدة

نوراً، لأن الشر بدا يشبه الخير، والكذب يشبه الحق؛ بيد أنهما يعدان في حقيقة الأمر ظلمة تتكون فقط مما يتصف به الإنسان. ويشبّه كل ما يصدر عن الرب «بالنهار»؛ لأنه يصدر عن نور؛ بينما يشبّه كل ما يصدر عن الإنسان «بالليل»؛ لأنه صادر عن «ظلمة». وغالباً ما نقف على مثل هذه المقارنة حاضرة في الكتاب المقدّس.

22. (الآية 5). وكان مساء، وكان صباح: يوماً واحداً.

إن ما قيل أعلاه يبيِّن لنا معنى كلمة «مساء»، وكلمة «صباح». فالمساء يعني كل حالة سابقة؛ لأنه بحد ذاته حالة الظل، الضلال، وغياب الإيمان؛ بينما الصباح، هو كل حالة آتية؛ لأنه يخرج من النور، أو الحق ومعارف الإيمان. ويعني المساء بمغزاه العام كل ما يصدر عن الإنسان؛ بينما يعني الصباح كل ما يصدر عن الرب. يقول داود:

روح الرب تكلّم فيّ، وعلى لساني كلمته. قال إله إسرائيل: كلمني صخرة إسرائيل. سيكون متسلط على البشر بار، يتسلط بمخافة الله. وكضوء الصباح تشرق شمس صباح لا غيم فيه. من تبلجها عقيب المطر تعشب الأرض.

(ملوك ثاني. 23: 2-4).

وبما أن «المساء»، هو الوقت الذي لا وجود فيه لأي إيمان، وأن «الصباح»، هو الوقت الذي يوجد فيه إيمان، لذلك دُعي مجيء الرب إلى العالم «صباحاً»، ودعي الوقت الذي يأتي فيه «مساء»، لأنه لا يكون عندئذٍ وجود لأي إيمان. يقول دانيال:

فقال لي: «إلى ألفين وثلاثمئة مساء وصباح، ثم يطهر القدس. ورؤيا السماء والصباح المخبّر بها، هي حق، فأغلق أنت على الرؤيا؛ لأنها تعود لدهور بعيدة.

(دانيال. 8: 14، 26).

وعلى هذا المنوال تستعمل كلمة «صباح» في الكتاب المقدّس للدلالة على كل مجيء للرب، فهي بالتالي تعني خلقاً جديداً.

23- وتستعمل كلمة «نهار» عادة للدلالة على الوقت بالذات. يقول أشعياء:

ولولوا فإن يوم الرب قريب وافد وفد اجتياح من لدن القدير. هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاس ذو سخط واضطرام، ليجعل الأرض خراباً ويبيد خطأتها منها. فإني سأزعزع السماء، وأزلزل الأرض عن مقرها في سخط رب الجنود وفي يوم اضطرام غضبه.

(أشعياء. 13: 6، 9، 13)

وورد عند أشعياء. أيضاً:

أهذه هي مدينتكم المرحة التي قدمها منذ الأيام الأولى؟ وفي ذلك اليوم تنسى صور سبعين سنة، كأيام ملك واحد. وبعد السبعين سنة يكون لصور مثل أغنية الزانية.

(أشعياء. 23: 7، 15).

وبما أن كلمة «نهار» تستعمل للدلالة على الوقت، فإنها تستعمل كذلك للدلالة على حالة هذا الوقت. فقد جاء في نبوءة إرميا:

ويل لنا فإن النهار قد مال، وظلال العشاء قد امتدت.

(مزامير. 6: 4).

وعنده أيضاً:

إن أمكن أن تنقضوا عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون الليل ولا النهار في أوانهما.

(مزامير. 33: 20، و25).

ثم يقول:

جدد أيامنا، كما كانت في القدم.

(مراثي إرميا. 5: 21).

24. (الآية 6). وقال الرب: ليكن فضاء وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه.

بعد أن أنار روح الله، أو رحمة الرب معارف الحق والخير، ووهب أول تنوير عن وجود الرب، وأنه هو الخير عينه والحق عينه، وأنه ليس ثمة خير أو حق إلا منه،

عندئذٍ فصل بين الإنسان الداخلي والإنسان الخارجي، بالتالي بين المعارف الكامنة في الإنسان الداخلي، وبين المعارف العملية التي تخص الإنسان الخارجي. لقد دُعي الإنسان الداخلي «فضاء»، ودُعيت المعارف الكامنة فيه، «المياه التي فوق الفضاء»، بينما دُعيت المعارف العملية للإنسان الخارجي، «المياه التي تحت الفضاء».

2. وقبل بدء تجدده لم يكن الإنسان يعرف شيئاً عن وجود الإنسان الداخلي، وطبيعته وماهيته. فقد ظن أنه لا فرق بين الإنسان الداخلي والإنسان الخارجي؛ لأن مكوثه فيما هو جسدي ودنيوي جعله يُغرق في هذا كل ما ينتمي إلى الإنسان الداخلي، ويجعل من الأشياء المختلفة اختلافاً تاماً، خليطاً شديد الإبهام. ولذلك قيل في البداية: «فليكن فضاء وسط المياه»، ثم «وليكن فاصلاً بين مياه ومياه»، ولم يقل: فلتنفصل المياه التي «تحت» الفضاء، ، عن المياه التي «فوق» الفضاء، كما ورد في الآيات التالية:

فصنع الله الفضاء وفصل بين المياه التي تحت الفضاء والمياه التي فوق الفضاء. فكان كذلك. وسمى الله الفضاء سماء. وكان مساء، وكان صباح: يوم ثان.

(تكوين. 1: 7-8).

3. أما الشيء التالي الذي لاحظه الإنسان المتجدد، فهو أنه أخذ يدرك وجود الإنسان الداخلي، أو وجود الخير والحق في هذا الإنسان، وأنهما صادران عن الرب وحده. وبما أن الإنسان الخارجي يرى نفسه في أثناء عملية التجدّد مصدراً لأعمال الخير التي يصنعها، والحقائق التي ينطق بها، بينما في واقع الحال إن الرب هو الذي يقوده إلى فعل الخير والتعبير عن الحقائق، كما لو أنها صادرة عنه؛ لذلك يُذكر أولاً فصل المياه التي تحت الفضاء، ثم تلك التي فوق الفضاء. كما يتلخص السر السماوي أيضاً، في أن الرب هو من يقود الإنسان ويجعله ينحو نحو الخير والحق، عبر ما تتوفر عليه ذات الإنسان من أحاسيس مضللة، وأهواء ونوازع. وعلى هذا النحو فإن كل فعل، وكل لحظة من لحظات التجدّد، على وجه العموم كما على وجه الخصوص، يتوافقان مع حركة التقدم من المساء نحو الصباح، أي من الإنسان

الخارجي إلى الإنسان الداخلي، أو من «الأرض» إلى «السماء». لذلك دُعي الفضاء أو الإنسان الداخلي الآن، «سماء».

25. إن التعبير الشائع استخدامه لدى الأنبياء عندما يتحدثون عن تجدّد الإنسان، هو «بسط الأرض ونشر السماء». فأشعياء. يقول:

هكذا قال الرب فاديك وجابلك من البطن: أنا الرب صانع الكل، ناشر السموات وحدي، وباسط الأرض بنفسي.

(أشعياء. 44: 24).

ويقول أيضاً:

قصبة مرضوضة لا يكسر، وكتاناً مدخناً لا يطفئ. يبرز الحكم بحسب الحق.

(أشعياء. 42: 3).

أي أنه لا يبطل الضلال ولا يطفئ الأهواء، بل يدفع بها نحو الحق والخير؛ ولذلك يرد عند أشعياء. بعد ذلك:

هكذا قال الله الرب، خالق السموات وفضاءاتها، باسط الأرض مع ما ينبت منها، الذي يعطي الشعب عليها نسمة، والسالكين فيها روحاً.

(أشعياء. 42: 5).

وهذا ما نقف عليه في أماكن أخرى كثيرة.

26. (الآية 8). ودعا الله الفضاء سماء. وكان مساء، وكان صباح: يوم ثان.

لقد أوضحنا في الآية الخامسة، ماذا تعني الكلمات: «مساء»، «صباح»، و«نهار».

27. (الآية 9). وقال الله: لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى موضع، وليظهر اليبس. فكان كذلك.

عندما يصبح معروفاً أن هناك إنسان داخلي وإنسان خارجي، وأن الحقائق والخير تنبثق من الإنسان الداخلي، أو عبر الداخلي إلى الخارجي من الرّب، مع أن

obeikandl.com

هذا لا يبدو كذلك، عندئذٍ فإن هذه الحقائق وهذا الخير، أو معارف الحقائق والخير في الإنسان المتجدّد، تُختزن في ذاكرته وتنتمي إلى نوع المعارف العلمية، إن كل ما يدخل ذاكرة الإنسان الخارجي، سواء كان طبيعياً أو روحياً، أو سماوياً، يمكث فيها بصفته معرفة علمية، ومن هناك يستخرجه الرب. وتعد هذه المعارف «مياه جمعت في مكان واحد»، ودعيت «بحاراً»، أما الإنسان الخارجي نفسه، فقد دُعي «يبساً»، ثم بعد ذلك مباشرة، «أرضاً»، كما في الآية التالية.

28. **(الآية 10). وسمى الله اليبس أرضاً، ومجتمع المياه سماه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن.**

غالباً ما تعني كلمة «مياه» في الكتاب المقدّس، معارف وحقائق علمية، بالتالي فإن كلمة «بحار» تعني مكان اجتماعها. يقول أشعياء:

لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تغمر المياه البحر.

(أشعياء. 11: 9).

ويقول أشعياء. أيضاً، في معرض حديثه عن نقص المعارف العلمية والإدراك:

وتنضب المياه من البحر، ويجف النهر ويبس، وتنتن الأنهار، وتتناقص جداول مصر وتجف، فيذوي القصب.

(أشعياء. 19: 5-6).

وجاء في نبوءة حجاي عن الكنيسة الجديدة:

لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرة بعد، وسيكون هذا قريباً جداً، فأزلزل السماء والأرض، والبحر واليبس، وأزلزل جميع الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.

(حجاي. 2: 7-8).

وجاء عند زكريا عن الإنسان الذي يجب أن يتجدد:

وسيكون هذا اليوم وحيداً، لا يعرفه إلا الرب: لا نهار ولا ليل، بل يحدث إنه في وقت المساء يكون نور. ويكون في ذلك اليوم أن مياه حية

تخرج من أورشليم، نصفها إلى البحر الشرقي ونصفها إلى البحر الغربي: صيفاً وشتاءً هكذا يكون.

(زكريا. 14: 7-8).

كما يصف داود بدوره الإنسان البائس اليائس المدمر الذي يجب أن يتجدّد ويخدم الرب:

لأن الرب يستمع للمساكين ولا يرذل أسراه. لتسبِّحه السموات والأرض، والبحار وكل ما يدب فيها.

(مزامير. 68: 34-35).

ويتضح من نبوءة زكريا أن «الأرض» تعني المتسع:

الرب باسط السماء، مؤسس الأرض، جابل روح الإنسان فيه.

(زكريا. 12: 1).

29. (الآيتان 11، 12). **وقال الله: لتنبت الأرض عشباً ليناً، عشباً يبزر بزراً، وشجراً مثمراً يخرج ثمراً بحسب نوعه الذي فيه على الأرض. فكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً ليناً، عشباً يبزر بزراً بحسب نوعه، وشجراً يخرج ثمراً بحسب نوعه. ورأى الله ذلك أنه حسن.**

عندما تعد «الأرض» أو الإنسان لاستقبال بذور سماوية من عند الرب، وينتج شيئاً ما صالحاً وحقيقياً، عندئذٍ يخلق الرب أولاً شيئاً لطيفاً، يدعى «عشباً ليناً»، ثم شيئاً ما أكثر نفعاً، يبزر ثانية ويدعى «عشباً يبزر بزراً»، وأخيراً بعض الخير الذي يطرح ثمراً، ويدعى «شجراً مثمراً يخرج ثمراً بحسب نوعه». وفي بادئ الأمر يظن الإنسان المتجدّد أن ما يفعله من خير، وما يقوله من حق إنما هو صادر عنه، مع أن واقع الأمر، هو أن كل خير وكل حق إنما يصدر عن الرب فقط. بالتالي فإن كل من يظن أن مصدر الخير والحق موجود فيه هو نفسه، لم يكتسب بعد حياة الإيمان الحقيقي، لكنه يستطيع اكتسابها فيما بعد؛ لأنه لا يستطيع بعد أن يؤمن أنهما صادران عن الرب، فهو لا يزال في طور الإعداد لتقبل حياة الإيمان، وتتمثل

هذه الحالة هنا بأشياء لا روح فيها، أما الحالة التالية، حالة حياة الإيمان، فهي تتمثل في أشياء حية.

2. إن الرب هو زارع «البزرة»: كلمته، أما «الأرض» فهي الإنسان، كما قال هو نفسه (متى.. 13: 19-24، 37-39؛ مرقس. 4: 14-21؛ لوقا. 8: 11-16). وقد وصف الأمر على الصورة الآتية:

وقال: مثل ملكوت الله كمثل رجل يبذر الزرع في الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والزرع ينمو ويطول وهو لا يعرف؛ لأن الأرض من نفسها تخرج أولاً العشب، ثم السنبل، ثم الحنطة في السنبل.

(مرقس. 4: 26-28).

بالمغزى العام فإن تعبير «مملكة الله» يعني السماء كلها؛ أما بمغزى أضيق فهو يعني *كنيسة الرب الحقيقية*؛ لكنه على وجه الدقة يعني كل إنسان يمتلك إيماناً حقيقياً صحيحاً، أو حياة إيمان متجددة. ولهذا السبب دعي الإنسان «سماء» أيضاً؛ لأن السماء تقيم فيه، وكذلك «مملكة الله»؛ لأن مملكة الله موجودة في الإنسان، كما علم الرب نفسه. يقول لوقا:

ولما سأله الفريسيون، متى. يأتي ملكوت الله، أجابهم وقال: إن ملكوت الله يأتي من غير أن يلحظ، ولا يقال: إنه هنا أو هناك؛ لأن ملكوت الله في داخلكم.

(لوقا. 17: 20-21).

إن هذه هي المرحلة الثالثة في تجدّد الإنسان، وهي تعد حالة توبته. وهي تشبه حركة الانتقال من الظل إلى النور، أو من المساء نحو الصباح؛ ولذلك جاء في الآية الثالثة عشرة: «وكان مساء، وكان صباح: يوماً ثالثاً».

30. (الآيات 14-17). وقال الله: لتكن نيّرات في فضاء السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات، وأيام وسنين؛ ولتكن هي نيرات في فضاء السماء لتضيء على الأرض. فكان كذلك. فصنع

الله النيرين العظيمين: النيِّر الأكبر لحكم النهار، والنيِّر الأصغر لحكم الليل والنجوم، وجعلها الله في فضاء السماء لتضيء على الأرض.

ونحن لا يمكننا أن نفهم بوضوح معنى تعبير «النيرين العظيمين»، إذا لم نعرف أولاً، بما يكمن جوهر الإيمان، وكيف يرتقي في داخل الناس الذين يتجدّد بناؤهم مرة أخرى. إن جوهر الإيمان وحياة الإيمان، هو الرب وحده، ولذلك لن يكون بمقدور من لا يؤمن بالرب أن تكون له حياة، فالرب نفسه قال في إنجيل يوحنا:

من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلا يعاين الحياة، ولكن غضب الله مستقر عليه.

2. ويرتقي الإيمان عند الذين يتجدد بناؤهم، على الصورة الآتية: في الأول لا تكون لهم أي حياة؛ لأن الحياة نفسها لا وجود لها إلا في الخير والحق، وليس في الشر والنفاق. ثم فيما بعد يتلقون الحياة من الرب عبر الإيمان: في الأول عبر الإيمان بالذاكرة الذي يعد إيمان المعرفة البسيطة؛ ثم عبر الإيمان بالفهم، الذي يعد إيماناً عقلياً؛ وأخيراً عبر الإيمان بالقلب، الذي يعد إيمان المحبة، أو إيمان الخلاص. ولنوعي الإيمان الأولين حضور في الآيات 3-13 عبر أشياء لا روح فيها، لكن الإيمان الذي تحييه المحبة حاضر في الآيات 20-25 عبر كائنات حية. ولذلك يجري الحديث في الأول هنا عن المحبة والإيمان الصادر عنها، ويدعيان معاً «بالنيّرين»؛ فالمحبة هي «النيّر الأكبر، لحكم النهار»، والإيمان الصادر عن المحبة، هو «النيّر الأصغر، لحكم الليل»؛ وبما أنه ينبغي أن يشكل هذان النيّران كلاً واحداً، لذلك جرى الحديث عنهما بصيغة المفرد[1].

3. إن المحبة والإيمان هما في الإنسان الداخلي كالدفء والنور في الإنسان الخارجي، الجسدي. ولهذا السبب فإن أحدهما يعبر عن الآخر ويعكسه. ولذلك قيل: إن «النيّرين» جُعلا في فضاء السماء، أي في الإنسان الداخلي: النيّر الأكبر في إرادته، والنيّر الأصغر في اعتقاده؛ بيد أنهما يظهران في الإرادة والاعتقاد، كواحد،

1- في النصّ اللاتيني فقط، حيث استخدم الفعل sit (للمفرد)، ولم يستخدم الفعل sint (للجمع).

obeikandi.com

كنور الشمس في الأشياء التي تستقبله. وتؤثر رحمة الرب على الإرادة بالمحبة، وعلى الاعتقاد بالحقيقية أو الإيمان.

31. ويتضح مما ورد عند مختلف الأنبياء، أن «النيّرين العظيمين» يعنيان المحبة والإيمان، وأنهما يدعيان «شمساً، وقمراً ونجوماً». يقول حزقيال:

وحين تنطفئ، احجب السموات واظلم نجومها، واغشي الشمس بسحاب، والقمر لا يضيء ضوءه. واظلم فوقك كل أنوار السماء المنيرة، واجعل الظلمة على أرضك، يقول السيد الرب.

(حزقيال.. 32: 7-8).

يجري الحديث في المقطع السابق عن الفرعون والمصريين، الذين يرمزون في الكتاب المقدّس إلى كل ما هو حسي وعلمي؛ ويشار هنا إلى أنهم بالحس والعلم أطفؤوا المحبة والإيمان. يقول أشعياء:

هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاس ذو سخط واضطرام غضب، ليجعل الأرض خراباً ويبيد خطأتها منها. إن كواكب السماء ونجومها لا تبعث نورها، والشمس تظلم في خروجها، والقمر لا يضيء بنوره.

(أشعياء. 13: 9، 10).

كما يقول يوئيل:

إن يوم الرب وافد، يوم ظلمة وديجور، يوم غمام وضباب. أمام وجهه تزلزلت الأرض، وارتعدت السموات، وأظلمت الشمس والقمر، ومنعت، وفقدت النجوم ضياءها.

(يوئيل. 2: 1، 2، 10).

2. ويجري الحديث عند أشعياء. عن مجيء الرب وتنوير الوثنيين، أي عن كنيسة جديدة، وعلى وجه التحديد، عن كل من يقيم في الظلمة ويتلقى النور فيتجدّد:

قومي استنيري يا أورشليم؛ لأن نورك قد وافى، ومجد الرب أشرق عليك. ها إن الأرض تغشاها الظلمة، والديجور يشمل الشعوب، ولكن عليك

يشرق الرب ويتراءى عليك مجده. فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك.

(أشعياء. 60: 1-3).

وكذلك عند داود:

الذي صنع السموات بحكمة، وبسط الأرض على المياه؛ وصنع أنواراً عظيمة، الشمس لحكم النهار؛ والقمر والنجوم لحكم الليل.

(مزامير. 136: 5-9).

ويقول أيضاً:

سبحيه أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع نجوم النور. سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التي فوق السموات.

(مزامير. 148: 3، 4).

3. من الواضح أن «النيّرات» تعني في هذه المقاطع الثلاثة، المحبة والإيمان. وبما أن «النيّرات» تمثل النموذج الأصل، الصورة الأصل للمحبة والإيمان بالرب، لذلك أُصر الكنيس اليهودي بأن يبقى الشمعدان مشتعلاً من المساء حتى الصباح؛ لأن كل شعيرة في هذا الكنيس تمثل الصورة الأصل للرب. وقد كتب عن هذا الشمعدان في سفر الخروج ما يلي:

وأنت فمر بني إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض خالص للمنارة لتوقد بها السرج دائماً. في خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذي أمام تابوت الوحي، يوقده هارون وبنوه من المساء حتى الصباح أمام الرب. فريضة أبدية في أجيالهم من بني إسرائيل.

(خروج. 27: 20-21).

وسوف نرى في حديثنا عن سفر الخروج، أن هذا يعني المحبة والإيمان اللذين يوقدهما الرب في الإنسان الداخلي وعبره في الإنسان الخارجي، حسب رحمة الرب الإلهية.

32. في الأول دعيت المحبة والإيمان «بالنيّرين العظيمين»، ثم دعيت المحبة «نيّراً أكبر»، والإيمان «نيّراً أصغر»؛ وقيل عن المحبة: إنها سوف «تحكم النهار»،

وعن الإيمان: إنه سوف «يحكم الليل». وبما أن هذه الأسرار مكنونة، خاصة في نهاية الأيام، فإنه مباح لرحمة الرب الإلهية أن تكشف عنها وتوضحها. ويكمن السبب الذي بموجبه أغلق على هذه الأسرار، خاصة في آخر الأيام، في أنه الآن في آخر الدهر، لم يعد ثمة وجود لأي محبة تقريباً، بالتالي لأي إيمان، كما تنبأ الرب نفسه:

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام، تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع.

(متى.. 24: 29).

والمقصود «بالشمس» هنا، هي المحبة التي تظلم؛ والمقصود «بالقمر»، هو الإيمان الذي لا يعطي ضوءه، والمقصود «بالنجوم»، هي معارف الإيمان التي تسقط من السماء، والتي تعد «قوات السماء» المختلفة.

2. ولم تعترف الكنيسة الأولى بأي إيمان سوى المحبة نفسها. كما لا يعرف ملائكة السماء بدورهم أي إيمان سوى الإيمان المنبثق من المحبة. فالمحبة تملأ السماء كلها؛ لأنه ليس في السموات حياة أخرى سوى حياة المحبة. وعن هذا تنشأ كل غبطة سماوية، وهي غبطة عظيمة إلى حد يستحيل عنده وصفها أو إدراكها بالتصور البشري. فالمقيمون في هذه المحبة يحبون الرب من كل قلوبهم، لكن كلهم يعرف، ويقول ويدرك، أن كل محبة، بالتالي كل حياة تتصف بالمحبة فقط، وعلى هذا النحو فإن كل سعادة تنبثق عن الرب فقط، وإنهم هم لا يكتسبون بأنفسهم أي قدر من المحبة، أو الحياة أو السعادة. وفي تجليه يتمثل الرب بصفته مصدراً لكل محبة، بالنيّر الأكبر، أو الشمس، فإنه مكتوب:

وتجلى قدامهم وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج.

(متى.. 17: 2).

ويعني الوجه هنا، الداخلي نفسه، بينما تعني الثياب، ما هو صادر عن الداخلي. وهكذا تدخل إلوهية الرب تحت مفهوم «الشمس»، أو المحبة، بينما يدخل ناسوته تحت مفهوم «الضوء»، أو الحكمة الصادرة عن المحبة.

33. إن كلاً منّا يمكن أن يعرف جيداً أنه لا توجد حياة من غير محبة ما، ولا توجد سعادة غير نابعة من المحبة. ولكن مثلما تكون المحبة، كذلك تكون الحياة، وكذلك تكون السعادة: إذا ما سلبت المحبة، أو شيئاً ما مماثلاً، كالأمنية مثلاً (فهي تنشأ عن المحبة)، فإن تفكيرك يتوقف في اللحظة عينها وتغدو كالميت. وقد عشت أنا شخصياً هذه التجربة. فمحبة الذات ومحبة العالم لهما في داخلك شيء ما مما يشبه الحياة والسعادة، ولكن بما أنهما تتعارضان تعارضاً تاماً مع المحبة الحقيقية التي تكمن في أن محبة الرب أسمى من كل محبة أخرى ومحبة قريبك لنفسك، فإنه من الواضح أنهما ليستا محبة بل كره؛ لأنه بقدر ما يحب المرء نفسه والدنيا أكثر، بقدر ما يكره قريبه أكثر، بالتالي يكره الرب أكثر. وعليه فإن المحبة الحقة، هي محبة الرب، والحياة الحقة، هي حياة المحبة الصادرة عنه، وأن السعادة الحقة، هي سعادة هذه الحياة، ولا يمكن أن يكون هناك سوى حياة حقيقية واحدة تنشأ عنها سعادة حقة وفرحاً حقيقياً كما لدى ملائكة السموات.

34. ولا يمكن الفصل بين المحبة والإيمان؛ لأنهما يشكلان كلاً واحداً؛ ولذلك، عندما أُتي على ذكر «النيّرات» لأول مرة، عدت كلاً واحداً، إذ قيل: «لتكن نيّرات في فضاء السماء». وعن هذا أتيح لي أن أعرف الأشياء المذهلة الآتية. إن ملائكة السماء وهم يعيشون المحبة السماوية التي اكتسبوها من الرَّب، يكتسبون من هذه المحبة معارف الإيمان كلها وذلك النوع من الحياة ونور العقل مما يكاد الوصف يعجز عن الإحاطة به. ومن جهة أخرى فإن الأرواح التي تملك معرفة عقائد الإيمان من غير محبة، تعيش حياة باردة، ونوراً باهتاً، ولا تستطيع أن تقترب مجرد اقتراب من المدخل الخارجي للسماء، فتشرد خارجاً. ويقول بعضهم: إنه آمن بالرب، مع أنهم لم يعيشوا حسب وصاياه. ويقول الرب عن هؤلاء:

ليس كل من يقول لي: يا رب! يا رب! يدخل ملكوت السموات، لكن الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات، هو يدخل ملكوت السموات. فإن كثيرين سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب! يا رب! ألم نكن باسمك قد تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا معجزات كثيرة؟

(متى.. 7: 21-22).

2. ويفهم من هذا أن الذين يقيمون على المحبة، يقيمون في الإيمان أيضاً، وعلى هذا النحو، في الحياة السماوية، ولا ينطبق هذا على الذين يقولون إنهم يقيمون في الإيمان ولا يقيمون في حياة المحبة. فحياة الإيمان من غير محبة، تشبه ضوء الشمس من غير دفء، كما في أيام الشتاء حينما لا ينبت نبت، بل كل شيء يذوي ويموت، بينما يشبه الإيمان النابع من المحبة ضوء شمس الربيع، حينما ينبت كل شيء ويتفتح بتأثير دفء الشمس. والشيء عينه ينسحب على الأشياء الروحية والسماوية، التي يقدّمها الكتاب المقدّس عادة أشياء موجودة في العالم وعلى سطح الأرض. وقد شبه الرب غياب الإيمان، والإيمان الذي يخلو من المحبة «بالشتاء». فقد جاء في إنجيل مرقس؛ حيث تنبأ الرب بنهاية الدهر:

وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء؛ لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يكون.

(مرقس. 13: 18–19).

ويعني «الهروب» هنا، الزمن الأخير، والزمن الذي يهلك فيه الإنسان. أما «الشتاء» فهو الحياة الخالية من المحبة؛ و«الضيق»، هو الحالة البائسة التاعسة في الحياة الأخرى.

35. يمتلك الإنسان أهليتين اثنتين: الإرادة والعقل. وعندما يوجه العقل الإرادة فإنهما يندغمان عندئذٍ ويشكلان روحاً واحداً، بالتالي حياة واحدة؛ لأن الإنسان حينئذٍ يفكر ويفترض ما يتمناه وما يفعله. ولكن عندما يتنافر العقل مع الإرادة (كما عند الذين يقولون: إنهم مؤمنون، لكنهم يعيشون بما لا يتوافق وإيمانهم)، عندئذٍ ينقسم الروح الواحد إلى روحين، ينحو أحدهما نحو السماء، بينما يتجه الآخر نحو جهنم. ولكن بما أن الإرادة تدفع كل فعل نحو خاتمته، فإن الإنسان كله يسقط في جهنم، إذا لم تنقذه رحمة الرب منها.

36. إن من يفصل بين الإيمان والمحبة، لا يعرف أصلاً ما هو الإيمان. وعندما يتأملون في الإيمان، فإن بعضهم يتصوّره فكرة بسيطة، بينما يرى فيه آخرون فكرة عن الرب، وترى قلة منهم أن الإيمان، هو تعاليم في الإيمان. بيد أن الإيمان ليس معرفة كل ما يتضمن في ذاته تعاليم الإيمان والإقرار به وحسب، إنه قبل كل

شيء طاعة كل ما تعلّم به تعاليم الإيمان. والأمر الرئيس الذي يعلّمه الإيمان، وينبغي على الناس الإذعان له، هو محبة الرب ومحبة القريب؛ لأنه إذا لم يكن الإنسان يملك مثل هذه المحبة، فإنه لا يملك الإيمان أيضاً. وهذا ما علّم به الرب بوضوح لدى مرقس، كي لا يترك أي مسرب للشك:

إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين.

(مرقس. 12: 29-31).

ويصف الرب هذه الوصية لدى متى. بأنها «الوصية العظمى»، ويقول: إنه «بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (متى. 22: 37-41). ويعني الرب هنا بقوله: «الناموس والأنبياء»، التعاليم العامة في الإيمان وما هو مكتوب كله.

37. وحسب ما هو مكتوب إن النيّرات ينبغي أن تكون «لآيات، وأوقات، وأيام، وسنين». ومع أن المغزى الحرفي لهذه الكلمات لا يوحي بأنها تنطوي على أسرار، إلا أن كثرتها فيها تجعل من المتعذر الكشف عنها الآن. ويكفي أن نشير هنا إلى توالي الأشياء الروحية والسماوية على وجه العموم كما على وجه الخصوص، هذا التوالي الذي موثل بتغيرات الأيام والسنين. فتبدلات الأيام يبدأ حدوثها من الصباح حتى منتصف النهار، ومن هنا إلى المساء عبر الليل إلى الصباح، وتبدلات السنين تشبهها، فهي تبدأ من الربيع إلى الصيف، ومن ثم إلى الخريف عبر الشتاء إلى الربيع. ومن هنا تنشأ تبدلات الدفء والضوء، وكذلك خصوبة الأرض. وقد موثلت هذه التغيرات بتوالي الأشياء الروحية والسماوية. ولولا مثل هذا التوالي والتنوع لغدت الحياة راكدة، أي الحياة على وجه العموم؛ ولبات من غير الممكن تبين الخير والحق وتمييزهما، فما بالك ببلوغهما. وقد دعا الأنبياء مثل هذا التوالي «أحكاماً». يقول إرميا:

هكذا قال الرب الجاعل الشمس نوراً في النهار، وأحكام القمر والنجوم نوراً في الليل الذي البحر فتعج. إن زالت هذه الأحكام من أمامي، يقول الرب، فذرية إسرائيل أيضاً تكف عن أن تكون شعباً أمامي كل الأيام.

(مزامير 31: 35-36).

ويقول إرميا. أيضاً:

هكذا قال الرب: إن كنت لم أتخذ عهداً مع النهار والليل، ولم أجعل أحكاماً للسموات والأرض، فإني أرذل أيضاً ذرية يعقوب...

(مزامير 33: 25).

ولكن، بالرحمة الإلهية للرب سوف يقال عن هذا في سفر التكوين 8: 22.

38. (الآية 18). ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلام. ورأى الله ذلك أنه حسن.

إن المقصود «بالنهار» هنا، هو الخير، والمقصود «بالليل»، هو الشر؛ ولذلك دُعي الخير أعمال النهار، والشر أعمال الليل؛ كما يعني «النور» هنا الحق، و«الظلام» الباطل. يقول الرب:

إن النور جاء إلى العالم والناس أحبوا الظلمة على النور؛ لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يقبل إلى النور؛ لئلا تفضح أعماله. فأما الذي يعمل الحق فإنه يقبل إلى النور لكي تظهر أعماله؛ لأنها مصنوعة في الله.

(يوحنا 3: 19-21).

(الآية 19). وكان مساء، وكان صباح: يوم رابع.

39. (الآية 20). وقال الله: لتفض المياه زحافات ذات أنفس حية، وطيوراً تطير فوق الأرض في فضاء السماء.

بعد أن أنيرت النيّرات العظمى وجعلت في الإنسان الداخلي، وتلقى الإنسان الخارجي النور منها، عندئذٍ بدأ الإنسان يعيش لأول مرة. وقبل ذلك بالكاد يمكن القول إنه عاش؛ لأنه كان يعتقد أن الخير من صنعه هو، وان الحقائق التي ينطق بها

نابعة منه. وبما أن الإنسان الذي يتصرف من تلقاء نفسه، هو إنسان ميت وليس فيه شيء سوى الشر والباطل، لذلك فإن أي شيء يفعله من تلقاء نفسه، يكون فعلاً ميتاً لا حياة فيه. فعلاً عاجزاً عن تحقيق أي خير يكون في داخله. وكون الإنسان عاجزاً عن التفكير بالخير، وتمني الخير، وفعل الخير إلا إذا شاء الرب له ذلك، ينبغي أن يكون واضحاً لكل إنسان من تعاليم الإيمان نفسها. يقول الرب في إنجيل متى:

الزارع الزرع الجيد هو ابن إنسان.

(متى.. 13: 37).

إن أي خير لا يمكن أن يصدر إلا عن مصدر واقعي للخير، وهذا المصدر هو الرب وحده، كما أكد هو نفسه في إنجيل لوقا:

فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ إنه لا صالح إلا الله.

(لوقا. 18: 19).

2. ولكن عندما يحيي الرب الإنسان، أي عندما يبعثه إلى الحياة، فهو يأذن له في أول الأمر أن يفترض أنه هو من يصنع الخير وينطق بالحق من ذاته؛ لأن الإنسان يكون عندئذٍ عاجزاً عن التفكير بطريقة أخرى أو أن استدراجه إلى الإيمان غير ممكن، بالتالي هو لا يستطيع أن يعي إن كل خير وحق صادر عن الرب وحده. وما دام الإنسان يفكر على النحو المذكور، فإن خيره وحقائقه تشبه «العشب اللين»، ثم «العشب الذي يبذر بذراً»، وأخيراً «الشجرة التي تطرح ثمراً» أي أن حقائقه تبقى في إطار ما لا روح فيه؛ ولكنه عندما يتجدد الآن بالمحبة والإيمان، ويؤمن بأن الرب هو مصدر كل خير يفعله وكل حق ينطق به، فإنه يقارن في أول الأمر بالزحافات المائية والطيور التي تطير فوق الأرض، ثم بالوحوش، وهذه كلها «ذات أنفس حية».

40. إن «الزحافات التي تفيض المياه بها»، تعني المعارف التي يمتلكها الإنسان الخارجي؛ أما «الطيور» فهي تعني على وجه العموم البدايات العقلانية، وتنتمي الأخيرة منها إلى الإنسان الداخلي. ويؤكد ما ذهبنا إليه هنا، قول النبي أشعياء:

فما بالي أتيت وليس من أحد، ودعوت وليس من مجيب؟ أفقصرت يدي قصوراً عن الافتداء ولم تكن لي طاقة بالإنقاذ؟ هاأنذا بزجري أجفف البحر، وأجعل الأنهار قفراً ينتن سمكها لعدم الماء ويموت من العطش.

(أشعياء: 50: 2-3).

2. ويبدو هذا أكثر وضوحاً لدى حزقيال.؛ حيث يصف الرب المعبد الجديد، أو الكنيسة الجديدة على وجه العموم، والإنسان الذي ينتمي إلى الكنيسة، أو الإنسان الذي بعث من جديد، لأن كل من يتجدد يعد معبداً للرب:

فقال لي: هذه المياه تخرج نحو البقعة الشرقية وتنزل إلى الغور وتدخل البحر. إنها تنصرف إلى البحر فتشفى المياه. وكل نفس حية تزحف حيث يبلغ النهر، تحيا ويكون السمك كثيراً جداً؛ لأن هذه المياه قد بلغت إلى هناك، فكل ما يبلغ النهر إليه يشفى ويحيا. ويقف على هذا البحر الصيادون من عين جدي إلى عين عجلائيم فيكون مبسطاً للشباك، ويكون سمكه على أصنافه كسمك البحر العظيم كثيراً جداً.

(حزقيال.. 47: 8-10).

ويقصد هنا «بالصيادين من عين جدي إلى عين عجلائيم الذين يبسطون شباكهم»، أولئك الذين ينبغي أن يرشدوا الإنسان الطبيعي ويرسخوه في حقائق الإيمان.

3. ويتضح مما ورد عند بعض الأنبياء، أن «الطيور» تعني هنا، البدايات العقلانية، يقول أشعياء:

ادعوا من المشرق النسر، ومن البلاد البعيدة رجل مشورتي.

(أشعياء. 46: 11).

ويقول إرميا:

نظرت فلم يكن إنسان، وكل طيور السماء هربت.

(مزامير. 4: 25).

ويقول حزقيال:

هكذا قال السيد الرب: إني سآخذ من ناصية الأرز العالي وأنصب. أقتطع من رؤوس خراعيبه غصناً أملد وأغرسه أنا على جبل شامخ شاهق... فينشئ أفناناً ويثمر ثمراً ويصير أرزاً جليلاً، فيأوي تحته كل طائر، كل ذي جناح يأوي في ظل أغصانه.

(حزقيال.. 17: 22-23).

وإذا يتحدث هوشع. عن الكنيسة الجديدة، أو الإنسان المتجدد، يقول:

وأبتّ لهم عهداً في كل اليوم مع وحش الصحراء وطير السماء ودبابات الأرض، وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض، وأريحهم في الدعة.

(هوشع. 2: 18).

وينبغي أن يكون واضحاً أن «وحش الصحراء» هنا لا يقصد به وحوش الصحراء، وأن «طير السماء» لا يقصد به الطيور؛ لأن الرب «يبتّ عهداً» معها.

41. إن كل ما ينتمي إلى ذات الإنسان، لا روح فيه، وهو إذ يتجلى للعيان يبدو شبيهاً بشيء ما صلب، كالعظم، وأسود المظهر؛ أما ما يصدر عن الرب ففيه حياة، وينطوي في داخله ما هو روحي، وسماوي، وحين يظهر للعين فإنه يبدو بشرياً وحياً. وقد يبدو الأمر غريباً، إلا أنه حقيقة لا ريب فيها، فلكل تعبير، وكل تصور، وكل فكرة مهما كانت تفصيلية، تصدر عن الروح الملائكي، هي فكرة حية، وتعبير حي، وتصور حي، وكل منها يحتوي في أصغر تفاصيله على شعور نابع من الرب، الذي يعد هو الحياة عينها. وبما أنه كذلك، فإن كل ما يصدر عنه يمتلك في ذاته حياة؛ لأنه يحتوي على الإيمان به، وهنا تندرج كذلك «الروح الحية» التي تتنوع أشكالها الجسدية، وقد دل عليها هنا بفعل الحركة وفعل الزحف. بيد أن هذه الحقائق لا تزال بالنسبة للإنسان أسراراً عميقة، وهي لا يرد ذكرها هنا إلا لأن الحديث يجري عن «الروح الحية» و«دبابات الأرض».

42. (الآية 21). فخلق الله وحوش البحار العظيمة وكل دابّ من كل ذي نفس حية فاضت به المياه بحسب أنواعه، وكل طائر ذي جناح بحسب أنواعه. ورأى الله ذلك أنه حسن.

وكما قلنا سابقاً، إن «الأسماك» تعني المعارف العلمية، التي أحياها الآن الإيمان النابع من الرب. ويقصد بتعبير «وحوش البحار»، المبادئ العامة لهذه المعارف، وبهذه المبادئ ترتبط الجزئيات وتنبثق منها؛ لأنه ليس في بناء الكون شيء لا يرتبط بمصدر أكثر شمولاً يكون بمثابة البداية والاستمرارية. وفي بعض الأحيان يشير الأنبياء إلى «وحوش البحار»، أو إلى «الحيتان»، وتعني هذه حسب ورودها، المعارف العلمية العامة. فقد وصف فرعون مصر (الذي يمثل الحكمة البشرية أو العقل البشري، أي المعارف على وجه العموم)، بأنه «وحش بحري عظيم». يقول حزقيال:

تكلم وقل: هكذا قال السيد الرب: هاأنذا عليك يا فرعون ملك مصر، التنين العظيم الرابض في وسط أنهاره، الذي قال: إن نهري هو لي، وأنا صنعته لنفسي.

(حزقيال.. 29:3).

2. ويقول في مكان آخر:

أشد برثاء على فرعون ملك مصر، وقل له: لقد ماثلت شبل الأم، وأنت مثل تنين في البحار، فنطحت في أنهارك وكدرت المياه برجليك، ووطئت أنهارهم.

(حزقيال.. 32: 2).

إن هذه الكلمات تعني الناس الذين يريدون الدخول إلى أسرار الإيمان بوساطة المعارف العلمية الصادرة عنهم هم. ويقول أشعياء. في هذا السياق:

في ذلك اليوم يضرب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد، لوياثان الحية المتدة، ولوياثان الحية الملتوية، ويقتل التنين الذي في البحر.

(أشعياء. 27: 1).

ومعنى قتل «التنين الذي في البحر» هنا، هو تفادي المعارف البشرية، حتى في الأوجه العامة للحقيقة. فإرميا. يقول:

قد أكلني نبوخذ نصر ملك بابل، وأفناني، وجعلني إناء فارغاً. ابتلعني كالتنين وملأ جوفه من طيباتي، ثم لفظني.

(مزامير 51: 34).

يعني أنه ابتلع معارف الإيمان التي سميت هنا «طيبات»، كما ابتلع الحوت يونان؛ أمّا «الوحش البحري» فهو يعني الناس الذين يمتلكون المعارف العامة للإيمان بصفتها معارف علمية عادية، ويتعاملون معها على هذا النحو.

(الآية 22). وباركها الله قائلاً: انمي وأكثري، واملئي المياه في البحار، وليكثر الطير على الأرض.

إن كل من يمنحه الرب الحياة يثمر ويتكاثر كثيراً جداً. ولكن هذا لا يحدث ما دام بقي الإنسان يعيش في الجسد، إلا أنه يحدث في الحياة الآخرة بمعيار مدهش. وتنتمي كلمة «يثمر» في الكتاب إلى ما يحدث عن محبة، بينما تنتمي كلمة «يتكاثر» إلى ما يحدث عن إيمان؛ «فثمرة» المحبة تحتوي على «بذرة» تتكاثر هي عبرها تكاثراً كبيراً. كما تعني «مباركة» الرب بدورها الإخصاب والتكاثر؛ لأنهما يحدثان بسبب هذه المباركة.

(الآية 23). وكان مساء، وكان صباح: يوم خامس.

44. (الآيتان 24، 25). وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية بحسب أنواعها، بهائم ودبابات ووحوش أرض بحسب أنواعها. فكان كذلك. فصنع الله وحوش الأرض بحسب أنواعها، والبهائم بحسب أنواعها، وكل دبابات الأرض بحسب أنواعها. ورأى الله ذلك أنه حسن.

إن الإنسان مثله مثل الأرض، لا يستطيع أن ينتج أي شيء صالح إذا لم تزرع فيه بذور معرفة الإيمان أولاً، فبوساطتها يمكنه أن يعرف بماذا ينبغي أن يؤمن وماذا يجب أن يفعل. فوظيفة العقل هي سماع الكلمة، ووظيفة الإرادة تحقيقها. والإنسان الذي يسمع الكلمة ولا يحققها، مثله مثل من يعلن أنه مؤمن لكنه لا يعيش بحسب إيمانه. فمثل هذا الشخص يفصل بين السماع والتحقيق، فهو بالتالي يملك عقلاً مجزّأً. وقد دعا الرب مثل هذا الإنسان إنساناً «جاهلاً»:

فكل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يشبه رجلاً حكيماً بنى بيته على الصخر. وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيته على الرمل.

(متى.. 7: 24، 26).

لقد رأينا سابقاً أن كل ما ينتمي إلى العقلانية أشير إليه «بكل دابّ فاضت به المياه». و«بكل طير يطير فوق الأرض» و«في فضاء السماء». أما ما ينتمي إلى الإرادة فقد أشير إليه «بالنفس الحية التي تخرجها الأرض»، و«بالحيوانات»، و«البهائم»، و«ووحوش الأرض».

45. وعلى هذا النحو أشار القدماء إلى الأشياء التي تنتمي إلى العقلانية والإرادة، ولذلك تمثلت هذه الأشياء لدى أنبياء العهد القديم، بمختلف أنواع الحيوانات. وثمة نوعان من الحيوانات: حيوانات شريرة؛ لأنها مؤذية؛ وحيوانات طيبة؛ لأنها غير مؤذية. فدل على الشر في الإنسان بالحيوانات الشريرة، كالدببة، والذئاب، والكلاب، بينما دل على الطيبة والوداعة فيه، بالحيوانات الطيبة، كالعجول، والخراف، والحملان. وتتصل الحيوانات هنا بما هو طيب ووديع، ويعني الشعور؛ لأن الحديث يجري عن البشر الذين ينبغي أن يتجدّدوا. فالمبادئ الدنيا في الإنسان أكثر ارتباطاً بالجسد، وتدعى «وحوش الأرض»: الأهواء، والنزوات، والشهوات.

46. وثمة كثرة من مقاطع الكتاب تؤكد على أن «الحيوانات» تعني الأحاسيس البشرية: الأحاسيس الشريرة لدى الأشرار، والأحاسيس الطيبة لدى الصالحين. يقول حزقيال:

فهاأنذا إليك، فالتفت إليك، فتحرثين وتزرعين. وأكثر عليك البشر والبهائم فيكثرون ويثمرون، وأجعلك آهلة كما في قديمك، وأُليك ما هو خير من أولئك، فتعلمون أني أنا الرب.

(حزقيال.. 36: 9، 11).

ويقول يوئيل:

لا تخافي يا بهائم الصحراء فإن مراتع البرية قد نبتت، والشجر أنشأ ثمره، والتين والكرم بذلا قوّتهما.

(يوئيل. 2: 22)

ويقول داود:

وأنا غبي ولا علم عندي، وقد صرت عندك كالبهائم؛ وأنا معك في كل حين.

(مزمور. 72: 22-23).

ويقول إرميا:

ها إنها تأتي أيام يقول الرب: أزرع فيها آل إسرائيل وآل يهوذا بزرع بشر وبزرع بهائم، وكما سهرت عليكم لأقلع وأهدم... كذلك لأسهر عليكم أبني واغرس.

(مزامير. 31: 27-28).

إن هذا ينتمي إلى التجديد:

2. و«للوحوش» مدلول مماثل عند هوشع:

وأبتّ لهم عهداً في ذلك اليوم مع وحش الصحراء وطير السماء ودبابات الأرض...

(هوشع. 2: 18).

وعند أيوب:

تسخر بالدمار والفاقة، ولا تخشى من وحوش الأرض؛ لأن لك عهداً مع حجارة الصحراء ووحوش الصحراء تسالمك.

(أيوب. 5: 22-23).

وعند حزقيال:

وأبتّ لهم عهد سلامك وأكف الوحش الضاري عن الأرض، فيسكنون بسلام في البرية آمنين وينامون في الغاب.

(حزقيال.. 34: 25).

وعند أشعياء:

يمجدني وحش الصحراء... لأني أجعل مياهاً في البرية وأنهاراً في القفر...

(أشعياء. 43: 20).

وعند حزقيال. أيضاً:

في أغصانها عششت جميع طيور السماء، وتحت فروعها ولدت جميع وحوش الصحراء، وفي ظلها سكنت جميع الأمم الكثيرة.

(حزقيال.. 31: 6)

لقد قيل هذا في آشور التي ترمز هنا إلى الإنسان الروحي، وتقارن بجنة عدن. وعند داود:

سبّحي الرب من الأرض أيتها التنانين وجميع الغمار، الجبال وجميع التلال، الشجر المثمر وجميع الأرز، الوحوش وجميع الحيوانات، الدبابات والطيور ذات الأجنحة.

(مزامير. 148: 7، 9-10).

ويجري هنا تعداد الأشياء نفسها: التنانين، والأشجار المثمرة، والوحوش، والحيوانات كلها، والدبابات، والطيور ذات الأجنحة. ولو لم تكن هذه تعني ما يملك في الإنسان حياة، لما قيل إنها تمجد الرب.

3. ويفرق الأنبياء بدقة بين «الحيوانات» و«وحوش الأرض»، وبين «الحيوانات» و«وحوش الصحراء». فالأعمال الصالحة في الإنسان دعيت «حيوانات» تماماً مثلما دُعي البشر الأكثر قرباً من الرب في السماء، «حيوانات»؛ كما عند حزقيال. ويوحنا:

وكان جميع الملائكة وقوفاً حول العرش وحول الشيوخ والحيوانات الأربعة، فخروا على وجوههم أمام العرش وسجدوا لله.

(رؤيا يوحنا. 7: 11).

وكذلك دُعي الذين كان ينبغي أن يبشر بالإنجيل في أوساطهم، «مخلوقات»؛ لأنهم كان يجب أن يخلقوا من جديد:

وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.

(مرقس. 16: 15).

47. ويتبيَّن من الآية السابقة أن هذه الكلمات تنطوي على أسرار تتصل بالتجدّد. فقد ورد في الآية المذكورة أن الأرض تخرج «النفس الحية، والحيوانات ووحوش أرض»، مع أن ترتيب ورودها يختلف في الآية التالية؛ إذ قيل: إن الله «صنع وحوش الأرض»، ثم «الحيوانات». وواقع الأمر، هو أن الإنسان بدا في أول الأمر كأنه يتصرف من تلقاء ذاته، واستمرت الحال على ما هي عليه إلى أن تحول إلى كائن سماوي؛ وعلى هذا النحو فإن التجدّد يبدأ من الإنسان الخارجي، ويتقدم باتجاه الإنسان الداخلي. ولذلك جاء الترتيب هنا مغايراً، فذكرت الأشياء الخارجية أولاً.

48. ومن هنا يغدو واضحاً أن الإنسان يمكث في درجة التجدّد الخامسة حينما يتحدث حسب الإيمان الذي يتصف به الإدراك، وهكذا يتثبت في الحق والخير. وما يصنعه عندئذٍ بحميّة ونشاط، يدعى «سمك البحر» و«طيور السماء». ومن الواضح أيضاً أنه يمكث في الدرجة السادسة عندما يتحدث حسب الإيمان الذي يتصف به الإدراك، وحسب المحبة التي تتصف بها الإرادة، عندئذٍ ينطق بالحق ويعمل الخير؛ وما يفعله عندئذٍ يدعى «روحاً حية» و«حيوانات». وبما أنه يبدأ حينئذٍ يتصرف فعلاً حسب مقتضيات المحبة والإيمان، فإنه يصبح الإنسان الروحي الذي دُعي «صورة»؛ وهو ما سنتحدث عنه الآن.

49. (الآية 26). وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الأرض وكل الدبابات الدابة على الأرض.

لقد ظهر الرب إنساناً لأهل الكنيسة الأوائل الذين تحدث إليهم مباشرة. ولذلك فهم لم يدعوا أياً كان «إنساناً» سواه. حتى إنهم لم يدعوا أنفسهم «بشراً»، ولم يطلقوا هذه الصفة إلا على ما كان فيهم مكتسباً من الرب، أي العمل الصالح والمحبة والإيمان الحق. فدعوا هذا بالنابع من الإنسان؛ لأنه صادر عن الرب.

2. ولذلك فإن الإنسان» و«ابن الإنسان»، هو عند الأنبياء، الرب نفسه؛ وهو بالمعنى المكنون، الحكمة والعقل، أي كل من يتجدد من جديد. ويقول إرميا:

نظرت إلى الأرض، فإذا هي خاوية خالية، وإلى السموات فلم يكن فيها من نور. نظرت فلم يكن إنسان وكل طيور السماء قد انهزمت.

(مزامير. 4: 23، 25).

وعند أشعياء.؛ حيث المغزى المكنون لكلمة «إنسان» يعني الإنسان المتجدّد، والمغزى الأسمى يعني الرب نفسه كإنسان واحد:

هكذا قال الرب قدوس إسرائيل وجابله: قد سألوني عما سيأتي. ألعلكم توصونني في أمر بني وعمل يدي؟ أنا صنعت الأرض وخلقت البشر عليها، يداي نشرتا السموات وأنا أمرت جميع جندها.

(أشعياء. 45: 11-12).

3. وعليه فقد عدَّ الرب نبياً كالإنسان. يقول حزقيال:

وفوق الجلد الذي على أرؤسها شبه عرش كمرأى حجر اللازورد، وعلى شبه العرش شبه كمرأى بشر عليه من فوق.

(حزقيال.. 1: 26).

كما دعي ذاك الذي رآه دانيال، «ابن البشر» أو ابن الإنسان، والمعنى نفسه:

ورأيت في رؤى الليل، فإذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء، فبلغ إلى القديم الأيام وقرب إلى أمامه. وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً، فجميع الشعوب والألسنة يعبدونه، وسلطانه أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض.

(دانيال. 7: 13-14).

4. ومن المعروف أن الرب غالباً ما كان يدعو نفسه «ابن البشر» أو ابن الإنسان، كما تنبَّأ عند دانيال بمجيئه في مجد:

وحينئذٍ تظهر علامة ابن البشر في السماء، وتنوح حينئذٍ جميع قبائل الأرض، ويرون ابن البشر آتياً على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين.

(متى.. 24: 30).

ويعني «سحاب السماء» هنا المغزى الحرفي للكلمة؛ بينما تعني «القوة والجلال العظيمين»، المغزى المكنون للكلمة التي يقصد بها في الأحوال كلها، الرب فقط ومملكته وحدها؛ ومن هذا يكتسب المغزى المكنون قوته وجلاله.

50. ومن المتعذر التعبير عن كل ما ضمّنته الكنيسة الأولى لمغزى تعبير، «صورة الرب». فالإنسان عاجز تماماً عن معرفة ما يتحكم به الرب عبر الملائكة والأرواح، وأنه لكل إنسان روحان في أقل تقدير وملاكان.

وعبر الأرواح يقيم الإنسان اتصالاً مع عالم الأرواح، كما يقيم عبر الملائكة صلة مع السماء. ومن غير التواصل عبر الأرواح مع عالم الأرواح، وعبر الملائكة مع السماء، بالتالي مع الرب، فإنه لا يمكن للإنسان أن يحيا على وجه العموم؛ لأن حياته تتعلق كلياً بهذا الاتحاد، وإذا ما تركته الأرواح والملائكة وابتعدت، فإنه يهلك في اللحظة عينها.

2. وقبل أن يتجدد الإنسان، أي قبل أن يتجدد، فإن وسيلة مغايرة توجهه، غير الوسيلة التي توجهه بعد أن يتجدد. فقبل لحظة تجدده تكون سيطرة الأرواح الشريرة على سلوكه عظيمة إلى درجة أنه على الرغم من وجود الملائكة، إلا أنهم بالكاد يستطيعون فعل شيء ما أكثر من توجيهه؛ كي لا يغرق في لجة الشرور، وبذا يتوجه لفعل شيء مل غير شرير. فالملائكة يستخدمون أهواءه نفسها لدفعه نحو العمل الصالح، ومغالطات أحاسيسه ليقودوه إلى الحقيقة. وعندئذٍ يتواصل مع عالم الأرواح التي تحايثه، ولكنه لا يتواصل مع السماء؛ لأن أرواح الشر تكون مسيطرة على محيطه، وبالكاد يستطيع الملائكة صدها.

ولكن، بعد أن يتجدد الإنسان، أي بعد أن يتجدد، فإن السيطرة تصير إلى الملائكة، فيدفعونه نحو الخير والحق، ويرونه كابوس الشر والنفاق. ومع أن الملائكة يوجهونه، إلا أنهم ليسوا سوى منفذين لإرادة الرب. وبما أن هذا الأمر يتحقق عبر الخدمة التي يؤديها الملائكة، لذلك استخدمت هنا في أول الأمر صيغة الجمع: «لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا»؛ ولكن بما أن الرب وحده الذي يوجه ويتحكم، فقد استخدمت في الآية التالية مباشرة صيغة المفرد: «فخلق الله الإنسان على صورته». وعن هذا يعلن الرب عند أشعياء:

هكذا قال الرب فاديك وجابلك من البطن: أنا الرب صانع الكل، ناشر السموات وحدي، وباسط الأرض بنفسي.

(أشعياء. 44: 24).

عداك عن هذا، أن الملائكة أنفسهم يقرون، بأنهم لا يملكون في ذواتهم أي قوة، وأن ما يفعلونه إنما يفعلونه بقوة الرب وحده.

51. أما فيما يتعلق «بالصورة»، فإنها ليست المثال، بل تتوافق معه؛ ولذلك قيل: «لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا». فالإنسان الروحي يعد «الصورة»، والإنسان السماوي «المثال» أو صورة طبق الأصل. ويجري الحديث في هذا الإصحاح عن الإنسان الروحي؛ أما في الإصحاح الذي يليه، فإن الحديث يجري عن الإنسان السماوي. ودعا الرب الإنسان الروحي الذي يعد «الصورة» دعاه «ابن النور». فقد جاء في إنجيل يوحنا:

... لأن الذي يمشي في الظلام لا يدري أين يتوجه. ما دام النور معكم فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور.

(يوحنا. 12: 35-36).

ودعاه أيضاً «صديقاً»:

انتم أصدقائي، إن صنعتم ما أنا موصيكم به.

(يوحنا. 15: 14).

ولكن الإنسان السماوي يدعى عند يوحنا.، «ابن الله»:

فأما كل الذين قبلوه، فأعطى لهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله... الذين لا من دم ولا من مشيئة رجل، لكن من الله ولدوا.

(يوحنا. 1: 12-13).

52. وما دام الإنسان إنساناً روحياً، فإن سيطرته تمتد من الإنسان الخارجي نحو الإنسان الداخلي، كما قيل هنا: «وليتسلط على سمك البحر وطير السماء، والحيوانات، وجميع الأرض، وكل الدبابات الدابة على الأرض». ولكن بعد أن يصبح الإنسان سماوياً ويصنع الخير بمحبة، فإن سيطرته تمتد عندئذٍ من الإنسان

الداخلي نحو الإنسان الخارجي، تماماً كما وصف الرب نفسه وفي الآن عينه، الإنسان السماوي الذي يعد مثيلاً له. فعند داود:

سلّطته على أعمال يديك، وأخضعت كل شيء تحت قدميه: الغنم والبقر كلها، ووحوش الصحراء أيضاً، وطير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار.

(مزامير 8: 7-9).

وهنا تذكر «الحيوانات» أولاً، ثم تذكر بعدها «الطيور» وبعد ذلك «سمك البحر»، لأن الإنسان السماوي ينشأ من المحبة التي تنتمي بدورها إلى الإرادة، متميزاً في ذلك عن الإنسان الروحي الذي ذكرت في أثناء وصفه «الأسماك» و«الطيور» أولاً، وهي تعني اليقين الذي يتصف به الإيمان، ثم تذكر بعد ذلك «الحيوانات».

53. (الآية 27). فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم.

لقد ذكرت «الصورة» هنا مرتين؛ لأن الإيمان الذي ينتمي إلى اليقين دُعي «صورته»، بينما دعيت المحبة التي تنتمي إلى الإرادة، «صورة الله». ففي الإنسان الروحي تلي المحبة الإيمان، أما في الإنسان السماوي، فإنها تسبقه.

54. ذكراً وأنثى خلقهم.

لقد كانت الكنيسة الأولى على معرفة جيدة بالمغزى الباطن لكلمتي «ذكر وأنثى» ولكن، بعد أن فقد أحفادها المغزى الباطن لهما هلك السر كله. وكان زواجهما المصدر الرئيس للسعادة والفرح؛ ولذلك قارنا بالزواج كل ما يمكن مقارنته به؛ لكي يبلغا السعادة التي يوفرها الشيء المعني. وبما أنهما كانا إنسانين داخليين، فقد وجدا الغبطة في الأشياء الداخلية فقط. أما الأشياء الخارجية فقد رأياها بالعين وحسب، لكنهما كانا يدركان ما تمثله. وعليه فإن الأشياء الخارجية لم تكن بالنسبة إليهما سوى وسيلة لتوجيه أفكارهما نحو الأشياء الداخلية، ومنها إلى الأشياء السماوية، وعلى هذا النحو إلى الرب الذي كان بالنسبة إليهما كل شيء، بالتالي إلى الزواج السماوي؛ لأنهما كانا يدركان أن

سعادة زواجهما إنما تنبع من هناك. ولذلك فقد دعيا العقل في الإنسان الروحي عنصراً مذكراً، والإرادة عنصراً أنثوياً، وعندما كان هذان العنصران يعملان معاً، كانا يدعوان ذلك زواجاً. وخرجت من هذه الكنيسة صيغة القول التي باتت معتمدة لدى جميعهم، ووفق هذه الصيغة أن الكنيسة نفسها، وبسبب توجهها نحو العمل الصالح، فقد دعيت «ابنة»، و«بنتاً»: «ابنة صهيون»، و«بنت أورشليم»، كما دعيت «زوجة» أيضاً.

55. (الآية 28). وباركهم الله وقال لهم: انموا وأكثروا واملؤوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدابّ على الأرض.

وبما أن الأقدمين دعوا اتحاد العقل والإرادة أو اتحاد الإيمان والمحبة، زواجاً، لذلك دعوا كل خير ناشئ عن هذا الزواج «إثماراً»، وكل حق صادر عنه «تكاثراً». ونحن نقرأ مثل هذه التعابير لدى الأنبياء، كما عند حزقيال. مثلاً:

وأكثّر عليك البشر والبهائم فيكثرون ويثمرون، وأجعلك آهلة كما في قديمك، وأوليك ما هو خير من أولئك فتعلمون أني أنا الرب. وأسيّر عليك الإنسان، شعبي إسرائيل...

(حزقيال.. 36: 11-12).

والمقصود «بالإنسان» هنا، هو الإنسان الروحي الذي دُعي إسرائيل؛ أما المقصود «بقديمك»، فهي الكنيسة الأولى؛ والمقصود «بالبداية» هي الكنيسة التي نهضت بعد الطوفان. ويتقدم «التكاثر» الذي ينتمي إلى الحق على «الإثمار» الذي ينتمي إلى الخير؛ لأن الحديث يجري في هذا المقطع عن الإنسان المتجدّد، وليس عن الذي سبق وتجدد.

2. وعندما يتحد العقل مع الإرادة، أو الإيمان مع المحبة، فإن الرب يدعو الإنسان «زوج الأرض». يقول أشعياء:

لا يقال لك من بعد مهجورة، ولأرضك لا يقال من بعد خربة، بل تدعين مرضاتي بها، وأرضك تدعى ذات بعل؛ لأن الرب يرضى بك وأرضك يكون لها بعل.

(أشعياء. 62: 4).

وقد دُعيت الثمار الناشئة من هناك، والتي تنتمي إلى الحقيقية، «أبناء»، أما تلك التي تنتمي إلى الخير، فقد دعيت «بنات»، وهو ما يظهر غالباً في الكتاب.

3. فالأرض «عامرة» عندما يكثر الحق والخير؛ لأنه حينما يبارك الرب ويقول، أي عندما يعمل، فإن الخير والحق يتكاثران تكاثراً كبيراً. يقول الرب عند متى:

يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها رجل وزرعها في حقله، فإنها أصغر الحبوب كلها. فإذا نمت صارت أكبر من جميع البقول، ثم تصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتستظل في أغصانها.

(متى.. 13: 31-32).

و«حبة الخردل»، هي عمل الإنسان الصالح قبل أن يغدو روحياً، فهي «أصغر الحبوب كلها»، لأن الإنسان يعتقد عندئذٍ أنه يصنع الخير من تلقاء نفسه، بينما واقع الحال، هو أن ما يأتي به من عنده يعد شراً فقط. ولكن بما أنه يمكث في حالة التجدد، فإن فيه بعض الخير، إلا أنه قليل جداً.

4. وبعد أن يتحد الإيمان مع المحبة، ينمو الخير ويصبح «بقولاً»، وعندما يتحقق الاتحاد في نهاية المطاف، يصير الخير إلى «شجرة» وحينئذٍ «تأتي طيور السماء وتستظل في أغصانها» (وتعني الطيور هنا أيضاً: الحقائق أو الأشياء العقلانية)، التي تعد معارف علمية. أما الإنسان الروحي، فإنه وقتئذٍ في حال صراع، ولذلك قيل: «أخضعوا الأرض وتسلطوا».

56. (الآية 29). وقال الله: ها قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزراً على وجه الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزراً يكون لكم طعاماً.

لا يجد الإنسان السماوي الغبطة إلا في الأشياء السماوية التي تتلاءم مع عيشه وتدعى قوتاً سماوياً. أما الإنسان الروحي، فإنه يجد غبطته في الأشياء الروحية التي توافق عيشه وتدعى قوتاً روحياً. ويجد إنسان الطبيعة غبطته في أشياء الطبيعة، وبما أن هذه تلائم عيشه، فهي أيضاً تدعى قوتاً، وتتألف أساساً من المعارف العلمية. وبما

أن الحديث يجري هنا عن الإنسان الروحي، فقد وصف قوته الروحي «بالعشب الذي يبزر بزراً»، و«الشجرة التي فيها ثمر»، وقد دعيت هذه على وجه العموم «بالشجرة التي تطرح بزراً». ووصف قوته الطبيعي في الآية الآتية.

57. إن «العشب الذي يبزر بزراً»، هو كل حقيقة تنتمي إلى العمل؛ و«الشجرة المثمرة»، هي الخير الصادر عن الإيمان؛ و«الثمر»، هو ما يمنحه الرب إلى الإنسان السماوي؛ ولكن «البزر الذي يبزر ثمراً»، هو ما يمنحه الرب للإنسان الروحي؛ ولذلك قيل: «الشجرة التي تبزر بزراً يكون لكم طعاماً». وهذا ما يؤكده قول الرب لدى حزقيال:

وعلى النهر، على شاطئه من هنا ومن هناك ينشأ كل شجر يؤكل ولا يذبل ورقه ولا ينقطع ثمره، بل كل شهر يؤتي بواكير؛ لأن مياهه تخرج من المقدس، فيكون ثمره للطعام، وورقه للشفاء.

(حزقيال.. 47: 12).

وتعني «المياه التي تخرج من المقدس» هنا، حياة الرب ورحمته، فهو نفسه «المقدس». أما «الثمر»، فهو يعني الحكمة التي تمثل القوت؛ و«الورق»، هو العقل الذي يمنح من أجل العمل، الذي دعي هنا «الشفاء». ويتبيّن مما جاء على لسان داود أيضاً، أن القوت الروحي يدعى «عشباً»:

الرب راعيّ، فلا يعوزني شيء. في مراع خصيبة يقيلني، ومياه الراحة يوردني.

(مزمور. 22: 1-2).

58. **(الآية 30). ولجميع وحش الأرض، وجميع طير السماء، وجميع ما يدبّ على الأرض مما فيه نفس حية، جميع بقول العشب جعلتها مأكلاً فكان كذلك.**

إن الموصوف هنا، هو قوت الطبيعة التي تهبه للإنسان الروحي هذا نفسه. وقد أشير إلى مستواه الطبيعي هنا بتعبير «وحش الأرض» و«طير السماء» الذين أعطيت لهم جميع بقول العشب طعاماً. وعلى هذا النحو وصف داود طعامه الطبيعي وقوته الروحي:

أنت المنبت كلأ للحيوانات وخضراً لخدمة البشر، لإخراج خبز من الأرض.

(مزمور 103: 14).

لقد استخدمت هنا كلمة «حيوانات» بدلاً من وحوش الأرض وطيور السماء التي جرى الحديث عنها في الآيتين 11، و12 من المزامير. عينه.

59. إن سبب جعل «بقول العشب» وحده هنا مأكلاً للإنسان الطبيعي، هو أنه في أثناء عملية التجدد، حينما يصير الإنسان روحياً، فإنه يقيم في صراع مستمر، ولذلك فإن كنيسة الرب تدعى «كنيسة «مقاتلة». لأن الأهواء والنوازع هي التي تغلب قبل لحظة التجدد، ولأن الإنسان كله يتألف عندها من رغبات وأباطيل ناشئة عن ذلك. وفي أثناء عملية التجدد، لا يمكن تجاوز هذه الرغبات والأباطيل بغمضة عين؛ لأن ذلك سيعني عندئذٍ تدمير الإنسان كله؛ لأنه لا يكون قد اكتسب لنفسه أي حياة مغايرة بعد. ولذلك فإن الأرواح الشريرة تبقى مقيمة معه لزمن طويل لكي تثير أهواءه وشهواته، وبذا يمكن التخلص منها بطرائق لا عدَّ لها. ومع أن الأرواح الشريرة تبقى مع الإنسان، إلا أنها تبقى لكي يمكن للرب أن يوجه رغباتها نحو شيء ما صالح، وليمكن للإنسان أن يتغير. وفي أثناء الصراع لا تبقي الأرواح الشريرة التي تكنّ كرهاً شديداً لكل خير وحق، أي لكل ما ينبع من محبة الرب والإيمان به، لا تبقي للإنسان أي شيء يقتات به سوى ما يقارن ببقول العشب؛ ولكن الرب يعطيه أيضاً قوتاً يشبه العشب الذي يبزر بزراً، ويشبه الشجر المثمر اللذين يعدان حالة من السكون والسلام مع ما يترتب عن ذلك من غبطة ورضى؛ ويعطي الرب الإنسان هذا القوت على فصول.

2. ولو لم يحرس الرب الإنسان في كل لحظة، لهلك من فوره؛ لأن في عالم الأرواح كرهٌ قاتل لكل ما يمت بصلة لمحبة الرب والإيمان به. وأنا أستطيع أن أؤكد أن الأمر على هذا النحو فعلاً؛ لأنني منذ سنوات وأنا على تواصل مع عالم أرواح الحياة الأخرى، على الرغم من كوني في الجسد. فقد حدث وأحاطت بي الأرواح الشريرة، بل الأكثر شراً بينها، وكانت أحياناً بالآلاف ممن أجيز لها أن

تصب جام حقدها وتوسوس لي بشتى الوسائل الممكنة، بيد أنها عجزت مع ذلك عن أن تمس شعرة واحدة في رأسي؛ لأن الرب كان يحرسني. لقد مكنتني تلك التجربة الطويلة من معرفة عالم الأرواح وطبيعته معرفة تامة، كما بتُّ على علم بالصراع الذي ينبغي أن يخوضه المتجدد حتى يحقق الحياة الأبدية، ولكن بما أن الوصف العام لا يمنح معرفة تمكّن من الإيمان بغير ريبة، لذلك فإننا سوف نعرض لهذه الأشياء بتفصيل أكثر في فقرات لاحقة.

60. (الآية 31). ورأى الله جميع ما صنعه، فإذا هو حسن جداً. وكان مساء، وكان صباح: يوم سادس.

لقد قيل في هذه الآية: «حسن جداً»، بينما قيل في آية سابقة: «حسن» وحسب؛ لأن ما هو ناشئ عن الإيمان يؤلف الآن مع ما هو ناشئ عن المحبة كلاً واحداً، وبذلك يتحقق التزاوج بين الروحي والسماوي.

61. لقد دُعي كل ما له صلة بمعارف الإيمان، روحياً، وكل ما له صلة بمحبة الرب، سماوياً؛ وينتمي الأول إلى معتقد الإنسان، بينما ينتمي الثاني إلى إرادته.

62. وقسمت عصور تجدّد الإنسان وحالاته (وهذا ينسحب على الجنس البشري ككل، كما على كل فرد بمفرده)، إلى ستة عصور دعيت بأيام الخلق. وشيئاً فشيئاً، وقبل أن يصير إنساناً، بلغ الإنسان اليوم السادس رويداً رويداً حينما صار «صورة» الرب.

63. وفي خلال ذلك الوقت كان الرب يقاتل عنه الشر والكذب، وعبر تلك المعارك كان يثبّته في الحق والعمل الصالح. وزمن الصراع، هو زمن فعل الرب؛ ولذلك يدعى الإنسان المتجدد لدى الأنبياء، بصنعة يدي الرب. وهو لا يهدأ قبل أن تغدو المحبة القوة الفاعلة الرئيسة، فعندئذٍ يتوقف الصراع. وعندما يصل العمل طور اتحاد الإيمان والمحبة، يدعى الأمر كله «حسناً جداً»؛ لأن الرب يعمله على مثاله. وفي آخر اليوم السادس تنسحب أرواح الشر، وتحل محلها أرواح الخير، وعندئذٍ يدخل الإنسان السماء، أو الجنة السماوية التي يجري الحديث عنها في الإصحاح التالي.

64. وبالمغزى الباطن للكلمة، فإن هذا يعني حياته الحقيقية التي لا ترى أبداً بالمغزى الحرفي. والأسرار كثيرة كثرة لا تفي معها مجلدات كاملة لشرحها كلها. ونحن لم نسق هنا سوى بعضها فقط، تلك التي يمكن أن تكون برهاناً على أن الحديث يجري عن تجدّد الإنسان، ذلك التجدّد الذي يتقدم من الإنسان الظاهري، الخارجي، نحو الباطني، الداخلي. وهكذا بالضبط يدرك الملائكة الكلمة. فهم لا يعرفون معنى أي كلمة، ومعرفتهم أقل بأسماء البلدان، والمدن، والأنهار، والناس الذين يتكرر حضورهم في أجزاء الكتاب التاريخية والتنبّئيّة. وهم لا يملكون سوى مفهوم عما تدل عليه هذه الكلمات والأسماء. فآدم في الجنة على سبيل المثال، يعني عندهم الكنيسة الأولى، بل لا يعني حتى الكنيسة نفسها، بل إيمان الكنيسة بالرب؛ ونوح بالنسبة إليهم، هو الكنيسة التي عرفها أحفاد الكنيسة الأولى، والتي استمرت حتى زمن إبراهيم. أما إبراهيم فهو بالنسبة إليهم ليس شخصية تاريخية، بل إيمان الخلاص الذي مثّل هو صورته الأولى، و... وعلى هذا النحو فإن الملائكة يدركون الأشياء الروحية والسماوية بصورة مستقلة تماماً عن الكلمات والأسماء.

65. وعندما قرأت الكتاب، أُصعد بعض من الأرواح إلى أول أبواب السماء ومن هناك تحدثوا إلي. فقالوا: إنهم لم يفهموا أي كلمة من كلماته، أو أي حرف من حروفه، إنما فهموا معناها فقط وبالمغزى الأقرب إلى ما هو باطني، وقد عبروا عن ذلك تعبيراً في غاية الروعة، تعبيراً جاء وفق ترتيب كان تأثيره عليهم عظيماً إلى درجة أنهم دعوا ذلك مجداً، تسبيحاً.

66. وعلى وجه العموم، ثمة في الكتاب أربعة أساليب: الأول منها، هو الأسلوب الذي كان لدى ناس الكنيسة الأولى. فقد كانت طريقة تعبيرهم على الشكل الآتي: عندما كانوا يذكرون الأشياء الزمنية، كانوا يفكرون بالأشياء الروحية والسماوية التي كانت تلك تمثل نموذجها الأصل. ولذلك كانوا يعبّرون بالمقارنات، وقد جعلوا من هذه الأخيرة ما يشبه التتابع التاريخي لكي يمنحوها قدرة أكبر على الاستمرار، ويبدو أن ذلك كان يحقق لهم متعة ما بعدها متعة. وبهذا الأسلوب تنبأت حنة قائلة:

لا تكثروا من الكلام بالعظائم والافتخار، ولا يخرج صلف من أفواهكم...

(الملوك الأول. 2: 3).

وقد دعا داود مثل هذه النماذج الأصل: «بالألغاز من القديم» (مزامير. 77: 2-4). وتلقى موسى عن أحفاد الكنيسة الأولى معلومات مفصلة عن الخلق، وجنة عدن و... وصولاً حتى زمن إبراهيم.

2. أما الأسلوب الثاني، فهو الأسلوب التاريخي الذي يظهر في كتب موسى ويبدأ من زمن إبراهيم وما بعده، كما يظهر أيضاً في كتب يشوع، والقضاة، وصموئيل، والملوك. وتأتي الوقائع التاريخية في هذه الكتب على الصورة عينها التي تظهر بها في المغزى الحرفي؛ إلا أنها كلها تتضمن على وجه العموم والخصوص مغزى آخر مغايراً، هو المغزى الباطن، المغزى الداخلي، وهو ما سوف نتحدث عنه بعون الرب ورحمته في الصفحات التي تلي.

وينشأ الأسلوب الثالث، الأسلوب التنبئي، عن أسلوب الكنيسة الأولى الذي كان يحظى باحترام كبير. ولكن هذا الأسلوب ليس كالأسلوب الأول، ولا يشبهه من حيث الصيغة التاريخية، فهو مبهم، وبالكاد مفهوم إلا بالمغزى الباطن الذي ينطوي على الأسرار الأكثر عمقاً والمرتبطة في كل واحد وفق ترتيب يثير الدهشة. وتخص هذه الأسرار الإنسان الخارجي والإنسان الداخلي، وكثيراً من حالات الكنيسة، كما تخص السماء نفسها، بل تخص الرب نفسه بالمغزى المقدس لها.

ويتمثل الأسلوب الرابع في مزامير داود، وهو أسلوب يعدّ أسلوباً وسطاً بين الأسلوب التنبئي وأسلوب الكلام المعتاد. وتحت شخصية داود بصفته ملكاً تختفي هناك شخصية الرب نفسه.